السَّنة السَّابعة والستُّون بعد المئتين

فيها دخل الزَّنج واسِطاً، فقتلوا وأحرقوا، وبلغ الخبرَ الموفَّقُ وهو ببغداد، فجهَّز ابنَه أبا العبَّاس إلى الزَّنج في عشرة آلاف فارس في أحسن زيٍّ وأكمل عُدَّة، ومن الرَّجَّالة ما لا يُحصى، ومعهم المعابرُ والسُّفن قد أُحكمت، فرحل أبو العبَّاس فنزل المدائن، وشيَّعه أبوه، ثمَّ رحل فنزل دَيْرَ العاقُول، وكان قد قدَّم في السُّميريَّات والشَّذا نُصيراً ـ المعروف بأبي حمزة ـ بين يديه، وأمره أن يكشف خبر قائد الزَّنج هو وسليمان ابن جامع، وكان قد وافى في خيل ورجَّالة وسُميريات، وكذا الجبَّائي[1] وسليمان بن موسى، وأنَّهم قد أخذوا المضايق، ثمَّ عادوا فاجتمعوا، ونزل أوَّلهم بفم الصِّلْح وآخرُهم ببستان موسى بن بُغا أسفلَ واسِط.

فأرسل أبو العبَّاس طائفةً من عسكره، وتأخَّر بفم الصِّلْح، ثمَّ التقَوْا في الظَّهْر والسُّفُن، واقتتلوا، فمنح الله أبا العبَّاس أكتافَهم، فانهزموا لا يَلْوُون على شيء؛ وأبو العبَّاس في أكتافهم، حتَّى أدرك آخرَهم بقرية عبد الله، وهي ستَّة فراسخ كثيراً[2]، وكان ذلك أوَّلَ الفتح.

وأشار أصحاب أبي العبَّاس عليه بأن يعسكر بالصِّلْح؛ المكانِ الذي كانت الوَقْعة فيه، إشفاقاً عليه من الزَّنج، فقال: ما أنزل إلا واسِطاً، فنزلها.

واجتمع أصحاب الخبيث: سليمانُ بن موسى الشَّعرانيُّ، وعليُّ بن أبان، وسليمانُ ابن جامع، وأداروا الرّأي، وقالوا: هذا فتًى حَدَثٌ، لم يُمارِس الحرب، والرَّأيُ أن نرميه بحدِّنا وحديدنا في أوَّل مرَّة؛ فلعلَّه أن يَرتدعَ فيرحلَ إلى موضع جاء منه، أو نَظفر به، فاجتمعوا وحشدوا.

ودخل أبو العبّاس واسطاً في أحسن زيٍّ، واستأمن إليه خلقٌ كثير، ثمَّ انحدر إلى العُمْر[3] ـ وهو على فرسخ من واسط ـ فأقام به، ورتَّب غلمانه في السّفن يراوحونهم

(١) في (خ) و(ف): الحاني، وفي «الكامل» ٧/ ٣٣٨ : الحياتي، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٨ .

(٢) كذا، وانظر «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٩ .

(٣) في النسخ: القم. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٥٩ .

القتالَ ويغادونهم.

واستعدَّ سليمان بنُ موسى الشَّعراني للقاء أبي العبَّاس، وفرَّق أصحابه ثلاثَ فرق في ثلاث نواحٍ، وجاؤوا بحدِّهم وحديدهم وفارِسِهم وراجِلِهم، فلقيهم أبو العبَّاس، فانهزموا وتفرَّقوا في كلِّ موطن، ثمَّ ورد الخبر على أبي العبَّاس بأنَّهم على عزم كَبْس عسكرِه، وأنَّهم قد أقاموا كميناً فيه عشرةُ آلاف، وساروا في السفن والبَرِّ، والتقاهم أبو العبَّاس، فمنحه الله أكتافهم، وانهزم سليمان والجبَّائي وحدهما راجِلَين، وغنم أبو العبَّاس الجميع، وكان سليمان قد حفر حفائرَ وجعل فيها سَفافِيد[1] الحديد قياماً، وغشَّاها بالبَواري[2] ليتهوَّر فيها الفرسان، وعلم أبو العبَّاس فاحترز.

ثمَّ كتب سليمان إلى صاحب الزَّنج يستمدُّه، فأمدَّه بأربعين سُميريَّة فيها أربعون مجذافاً[3]، وفيها الرِّجال والعُدَد والسِّلاح، فأقاموا شهرين يقاتلونهم، فرتَّب أبو العباس أصحابَه وخواصَّه في السُّميريات، ونزل هو في سُميرية، والتقَوا، فقذف الله الرُّعب في قلوب الزَّنج فانهزموا، وأخذ منهم ثلاثين سُمَيْرية، وانهزم الجبَّائيُّ في ثلاث سُمَيْريات، ورمى أبو العبَّاس بقوس حتَّى دَمِيت أصبعه، وانهزم الزَّنْج، وعاد أبو العبَّاس إلى معسكره، وخلع على أصحابه وقوَّاده الخِلَع والأطواق والأساور، وأمر أن تُصلَح السُّمَيْريات المأخوذة من الزَّنج.

وأما قوَّاد الزَّنج فإنَّ سليمان بنَ جامع تحصَّن وعسْكَرَه في مكان يقال له: طَهيثا[4]، وتحصَّن الشعرانيُّ بمكانٍ يقال له: سوق الخميس، وجعلوا يخرِّبون ويحرِّقون ويحملون المِيْرة والغلَّات، وواقعهم أصحابُ أبي العباس، وأخذوا جميعَ ما كان معهم قد حمل إليهم من الغلَّة والمِيْرة، وقصد مكاناً يقال له: الصينيَّة، وكان بها منهم جمع كثير فغنمهم، وعاد إلى عسكره، فاستنقذ أبو العبَّاس يومئذٍ من النِّساء اللَّواتي كنَّ في أيدي الزَّنج خَلْقاً كثيراً، فردَّهن إلى أهليهنَّ، وغنم ما جمع الزَّنج، ثمَّ عزم على

(١) السفافيد: جمع سفود، وهو حديدة ذات شُعَب معقَّفة. «اللسان»: (سفد).

(٢) قال الزبيدي في «تاج العروس» (بور): البواري: الحصير المنسوج، وفي «الصحاح»: التي من القصب.

(٣) في (خ) و(ف): مقذافاً. والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٦١.

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٦٣.

دخول مكانٍ يقال له: سوقُ الخميس فيه قوّاد الزَّنج، فقال له أصحابه: نحن نسير إليه عوضكَ. فقال: لا بدَّ لي من ذلك، قالوا: فلا تُكثر العدد في السُّميريات، فسار في خمس عشرة سُميرية، وقدَّم أصحابه بين يديه في السُّميريات.

وكان سليمان بن موسى الشَّعراني قائد الخبيث قد بنى مدينةً بسوق الخميس وسمَّاها المَنيْعَة، وبَثَق حولها الأنهار، ووعَّر طريقها، فجاء أبو العبَّاس فأخذ فوهة النَّهر الذي يصل إليها، وخرج إليه خلقٌ كثير من الزَّنج فقاتلوه، وحالوا بينهم وبين المنيعَة وسورِها مقدارَ فرسخين، وكان قد قدَّم بين يديه نُصيراً القائد، فخالفه في بعض الأنهار والبُثوق، ومضى نُصير فوقع بمدينة الزَّنج فقاتلهم، وأسر منهم جماعةً.

وصاح الزَّنج بأبي العبَّاس: قد أسَرْنا نُصيراً، فضاق صدرُه، وإذا بنُصير قد وافاه بالأسارى والغنيمة على فوهة النَّهر، فسُرَّ به، ثمَّ وقع القتال، وقاتل أبو العبَّاس قتالاً شديداً والزَّنج يرمونه من السُّفن والبَرِّ بالنُّشَّاب والآجرّ، فنُزِع من دِرعه خمسٌ وعشرون نُشَّابة، ومن لُبَّادٍ كان عليه أربعون نشّابة، ونصره الله عليهم، فانهزموا، فغنم سفنَهم وسلاحَهم.

ورجع أبو العبَّاس إلى معسكره بالعُمر[1] سالماً غانماً، وخلع على الملَّاحين ووصلهم، وأخذ سُمَيْريَّات الزَّنج مشحونة بالسِّلاح، فكان من غرق مَن الزَّنج أكثرَ ممن قُتل وأُسر، وكتب إلى أبيه الموفَّق بالفتح، ويخبره بما جرى، ويُطمعه في الزَّنج.

وكان الخبيث قد أمر قوَّاده بالاجتماع على حرب العبَّاس، فسار الموفَّق من بغداد بجيوشه والسُّفن والمعابر والشَّذا والسُّميريات في هيئةٍ لم يُرَ مثلُها إلى واسِط، فتلقَّاه ولدُه أبو العبَّاس في وجوه قوّاده وجنده، فوصف له بلادَهم ونصحهم، فخلع عليهم وأحسنَ إليهم، فسار ونزل عند عسكر ابنه بالعُمْر، ثمَّ رحل فنزل قريةَ عبد الله، ثمَّ قدَّم بين يديه ولدَه أبا العبَّاس إلى المدينة التي سمَّاها صاحبُ الزَّنج المنيعة من سوق الخميس، فقيل لأبي أحمد: ابدأ بمدينة الشَّعراني ولا تجعلها خلفك، فبدأ بها، وهجمها أبو العبَّاس، فقتل من الزَّنج خلقاً كثيراً، واستولى على ما كان فيها، وهرب

(١) في (خ) و(ف): بالغنم، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/٥٦٦ .

الشَّعراني، وتبعهم أصحابُ أبي العبَّاس في السميريات إلى البطائح فقتلوهم، وغرق منهم أكثرُ مما قتل.

واستنقذوا من المسلمات زُهاء خمسة آلاف، فبعث بهنَّ أبو أحمد إلى واسط، وأمر بتسليمهنَّ إلى أهاليهنَّ، وهدم المدينةَ، وطمَّ خنادقَها، وأحرق جماعةً من الزَّنج كانوا بها، ثم نازل مدينة الشَّعراني فدخلها، وانهزم الشَّعرانيُّ في نَفَرٍ يسير، وسلب ولده، ومالَه، وأهلَه، ووصل إلى المذَار، وكتب إلى الخبيث بخبره، فتردَّد الخبيث إلى الخلاء مراراً في ساعة، ورجف فؤادُه، وتقطَّع كبده، وأيقن بالهلاك.

ثمَّ إن الموفَّق سأل عن أصحاب الخبيث فقالوا: معظمهم مع سليمان بنِ جامع في مدينة يقال لها: طَهيثا، فسار الموفَّق إليها في ربيع الآخر، وزحف عليها بجنوده، فتلقَّاه سليمانُ بن جامع وأحمدُ بنُ مهدي الجبَّائي في جموع الزَّنج، ورتَّبوا كميناً في مواضعَ شتَّى، ونشبت الحرب، فرمى أبو العبَّاس أحمدَ بنَ مهديٍّ الجبَّائي بسهم في إحدى منخريه[1]، فخرقه ووصل إلى دماغه، فحُمل إلى معسكره فأقام أياماً ومات، وكان أبو العبَّاس رامياً.

ثمَّ أصبح الموفَّق يوم السبت لثلاثٍ بقين من ربيع الآخر، فعبَّأ أصحابه، وجعلهم كتائبَ يتلو بعضُها بعضاً فُرساناً ورجَّالة، وأمر بالسُّميريات والسُّفن أن يشقَّ بها في النَّهر الذي يأخذ إلى مدينة طَهيثا؛ ويُعرف بنهر المنذر، وسار هو نحو الزَّنج حتَّى انتهى إلى سور المدينة، فرتَّب قوَّاده في الأماكن التي يُخاف خروجُ الزَّنج منها، وقدَّم الرجَّالة أمام الفرسان، ونزل فصلَّى أربعَ ركعات، وابتهل إلى الله تعالى في الدُّعاء، وسأله النَّصر، ثمَّ لبس سلاحَه، وأمر ابنَه أبا العباس بالتقدُّم إلى المدينة ففعل.

وكان سليمانُ بنُ جامع قد أعدَّ أمام سور مدينتِه التي سمَّاها المنصورة خندقاً عريضاً، فلمَّا وصل إليه عسكرُ أبي العبَّاس هابوه، فترجَّل القوَّاد بأسرهم، واقتحموا الخندق، ودخلوا البلد فوجدوا له خمسة أسوارٍ، وراء كلِّ سور خندق، فجعلوا يقتحمون خندقاً خندقاً والقتال يعمل، وشقَّت السُّميريات النَّهر الذي يدخل البلدَ، فما

(١) في (خ) و(ف): بسهم واحد منخريه، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٧٢.

كانت إلا ساعة وانهزمت الزَّنج، وعمل فيهم السَّيف، فغرق أكثرهم، وأجلوهم عن المدينة. وأفلت سليمانُ بن جامع في نفرٍ من أصحابه، واستحرَّ القتلُ في الزَّنج والأسر، واستنقذ أبو أحمد من المدينة زُهاءَ عشرة آلاف امرأة، فأمر بحملهنَّ إلى واسط، ودفعهنَّ إلى أهاليهنَّ، واحتوى على ما كان في المدينة من الأموال والذَّخائر والأطعمة والمواشي ما لا يُحدّ ولا يحصى، واستغنى عسكرُه وشبعوا، وفرَّق فيهم ذلك.

وأقام أبو أحمد في المدينة سبعةَ عشر يوماً، ثمَّ أمر بهدم سورها وطمِّ خنادِقها، وكان قد لجأ من أعيان الزَّنج جماعةٌ إلى آجام حول المدينة، فبعث أبو أحمد أصحابه، فأتوا بهم إليه، فخلع عليهم وأحسن إليهم، وقصد صَرْفهم عن الخبيث، ومَنَّ عليهم، ولم يقتلْ من الأعيان أحداً.

ولما كان يوم الجمعة لليلةٍ خلت من جمادى الآخرة توجَّه الموفَّق إلى الأهواز ليصلحَ أمورها، ووكَّل عساكره بفوهة نهر أبي الخَصيب الذي فيه مدينة الخبيث [و]قوَّادُه، وشحنها بالسُّميريات والفرسان.

وكان المهلبيُّ مقيماً بالأهواز في ثلاثين ألفاً من الزَّنج، فلمَّا قصدها الموفَّق انهزم المُهَلَّبيُّ وتفرَّق أصحابُه، وكان بَهْبوذ الزَّنجي مقيماً في أطراف البلاد، فهرب إلى الخبيث، وترك أموالَه، ومن الطعام والتَّمر شيئاً عظيماً، فاحتوى عليه الموفَّق.

ولما تفرَّق عن المهلبيِّ وبَهْبوذ أصحابهما كتبوا إلى الموفَّق يسألونه الأمان؛ لِمَا انتهى إليهم [من] عَفوِه عمَّن ظَفِر به من أصحاب الخبيث، فأمَّنهم، وهرب بَهْبوذ والمُهَلَّبيُّ إلى الخبيث إلى نهر أبي الخَصيب.

وأقام الموفَّق حتَّى أحرز ما ترك المهلَّبيُّ وبَهْبوذ، وفتح السُّكور التي كان الخبيث أحدثها في دِجْلة، ورحل الموفَّق من السُّوس إلى جُندَيسابور، ثم سار إلى تُسْتَر فنزلها، ثمَّ أمر عاملَ الأهواز [بإحضار مَن معه][1] من الموالي والغِلمان والجند ليعرضَهم، وأمر بإعطاء أرزاقهم، وجُمعت أموالُ الأهواز وحملت إليه، ففرَّقها في العساكر.

(١) ما بين معكوفين من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٧٧ .

ثمَّ رحل إلى عسكر مُكْرَم، فجعله منزلاً، وانقطعت عنه المِيْرةُ ثلاثة أيام، فساءت أحوال العسكر وكادوا يتفرَّقون، فبحث الموفَّق عن السَّبب، فقيل له: هاهنا قنطرةٌ من بناء الأكاسرة بين سوق الأهواز ورَامَهُرْمز يقال لها: قنطرة أربُك، وكان الخبيث قد قطعها، فركب أبو أحمد في ساعته، وهي على فرسخين من سوق الأهواز، وجمع العساكر والرجَّالة والسودان، فنقلوا الحجارةَ والصخور، وبذل لهم الأموال، فلم يَرِمْ من مكانه حتى أعادها إلى ما كانت عليه، فوافت القوافل وحمل النَّاس المِيْرةَ، فحسُنت أحوال عسكره.

وأمر الموفَّق بجَمْع السُّفن لعقد الجسر، وجاءه ألف رجل من أصحاب المهلّبيِّ يسألونه الأمان، فأحسن إليهم، ووصلهم، وضمّهم إلى قوَّاده، وأجرى أرزاقَهم، ولما عقد الجسر على دُجَيل عَبَر عليه، وعسكر بالجانب الغربيِّ من دُجَيل بمكان يقال له: قصر المأمون.

وكان قد قدَّم ابنه أبا العباس إلى نهر المبارك من فُرات البَصرة، وكان ابنه هارون قد خلفه بواسط، فكتب إليه ليسير بجيشه إلى نهر المبارك، ليجتمع العساكر ثَمَّ، ورحل أبو أحمد عن قصر المأمون، وسار حتَّى نزل نهر المبارك يوم السَّبت منتصف رجب، وتلقَّاه ابناه أبو العباس وهارون، وبعث ابنَه أبا العبَّاس إلى نهر أبي الخَصيب لقتال الخبيث، فبعث إليه الخبيث سُميريَّات وسُفناً، فاقتتلوا، فهزمهم أبو العبَّاس، واستأمن إليه قائد من قوَّاد الزَّنج يقال له: منتاب، فأحسن إليه ووصلَه.

ولما نزل الموفَّق بنهر المبارك يريد قتالَ الخبيث؛ كان أوَّل ما بدأ به أن كتب إلى الخبيث كتاباً يدعوه فيه إلى التَّوبة، والإنابة إلى الله تعالى ممَّا ركب من سفْكِ الدماء، وانتهاكِ المحارم، وإخرابِ البلدان والأمصار، واستحلالِ الفروج والأموال، وانتحالِ ما لم يجعلْه الله له أهلاً من النبوَّة والرسالة، ويعطيه الأمان، [فإن هو][1] نزع عمَّا هو عليه، ودخل في جماعة المسلمين، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه، وكان له به الحظّ الجزيل، وبعث به مع رجل من أصحابه، فلم يصل الرَّسول إلى الخبيث،

(١) زيادة من «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٨١.

وأخذوا منه الكتاب، فلمَّا قرأه ما زاده ذلك إلا نفوراً وإصراراً واستكباراً، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره، ويقال: إنَّه قتل الرسول.

فسار أبو أحمد في جيوشه وعُدَدِه إلى مدينة الخبيث بنهر أبي الخَصيب، فأشرف عليها ـ وكان قد سمَّاها المختارة ـ فتأمَّلها، ورأى حصانتَها وأسوارَها وخنادقَها، وما وعّر[1] من الطُّرق المؤدِّية إليها، وما أعدَّ عليها من المجانيق والعرَّادات[2] وآلاتِ القتال شيئاً لم يُرَ مثله في مدينة، ورأى من كثرة المقاتِلة[3] ما استعظمه، ورفعوا أصواتهم فارتجَّت الأرض، فأمر الموفَّق ابنَه أبا العباس برَشْقِهم بالسِّهام فرماهم، ورمَوه عن يدٍ واحدة بالمجانيق والعرَّادات والمقاليع والآجُرّ والنُّشَّاب، فأذهلوا أبا أحمد والعسكر، فرجع عنهم، ولم يبق مكان إلَّا وفيه حَجرٌ أو سَهْم، وثبت أبو العبَّاس، واستأمن جماعةٌ من أصحاب الخبيث إليه، فأحسن إليهم ووصلهم، فلمَّا رأى أصحاب الخبيث ذلك استأمن منهم خلقٌ كثير، فخلع عليهم وأحسن إليهم.

ولما كان في اليوم الثاني جهَّز الخبيث بَهْبوذ في السّميريات، فالتقاه أبو العبَّاس واقتتلوا، فأصاب بَهبوذ طعنتان، وجُرح جراحات بالسِّهام، وهرب إلى الخبيث.

وعاد الموفَّق إلى معسكره بنهر المبارك وقد تبعه خلقٌ كثير من أصحاب الخبيث مستأمنين، فخلع عليهم وضمَّهم إلى ولدِه أبي العباس.

ولما كان في شعبان خرج الخبيثُ في ثلاث مئة ألف مقاتل ما بين فارس ورَاجِل، وركب أبو أحمد في خمسين ألفاً، وبينهم النَّهر، فنادى أبو أحمد بالأمان لأصحاب الخبيث، فاستأمن إليه خلقٌ كثير، فأحسن إليهم، وانفصلوا عن غيرِ قتال[4].

وفيها بنى الموفَّق مدينة بإزاء مدينة الخبيث على جانب دجلة، وسمَّاها الموفَّقية، وذلك لأنَّه فكر ونظر، فرأى أنَّه لابُدَّ من مصابرته وحصاره، وتفريق جماعته عنه بالإحسان إليهم، فشرع في بناء المدينة، وكتب الكتب إلى عمَّاله بإنفاذ الصُنَّاع والمِيْرة

(١) في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٨١ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٢ : عور.

(٢) العرّادات: شبه المنجنيق صغيرة. اللسان: (عرد).

(٣) في (خ) و(ف): القتال. والمثبت من «تاريخ الطبري»، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٢٤٩ .

(٤) من أول السنة إلى هنا ليس في (ب).

وما يصلح [له]، فورد عليه ذلك، وقدم التُّجَّار بالأموال والأمتعة، وبنى الموفَّق الجامع والأسواق والمنازل، وشاع خبر الموفَّقية، فقدم إليها النَّاس من كلِّ مكان واستوطنوها[1]، وتتابع قوَّاد الزَّنج إلى أبي أحمد بالأمان، فكان عددُ من وافاه منهم من رجب إلى رمضان خمسةَ آلاف رجلٍ ما بين أبيضَ وأسود.

وفي شوَّال كانت وقعة بين أبي العبَّاس والخبيث قُتل منهم خلقاً كثيراً، وذلك لأنَّ الخبيث انتخب من قوَّاده خمسة آلاف، وأمرهم أن يعبروا فيبيِّتوا عسكر الموفَّق، فاستأمن إلى الموفَّق غلام من الملَّاحين، فأنهى إليه خبرَهم، فأمر الموفَّق ابنَه أبا العباس بالنُّهوض إليهم، وكان لهم كمين، فبعث إليه قوماً آخرين، واقتتلوا، فنصره الله عليهم، فركب أكتافهم، فكانوا بين قتيل وأسير وغريق، وأخذ أبو العبَّاس الأسارى، فصلبهم على السُّفن، ورمى برؤوس القتلى في المجانيق إلى مدينة الخبيث؛ وسببه: أنَّ أصحاب الخبيث لمَّا رأوا من الأمان والإحسان جعلوا يهربون إلى الموفَّق، فأيقن الخبيثُ بالهلاك، فوكَّل بكلِّ ناحية من المدينة مَن يمنعهم الهربَ، فأرسل جماعةٌ من قوَّاده إلى الموفَّق يسألونه الأمان، وأن يعبرَ إلى المدينة ليكون قريباً منهم، وكان الزَّنج قد ظهروا على أبي العبَّاس قبل ذلك بيومين، وقتلوا من أصحابه جماعة، فعبر إليهم الموفَّق في جميع أصحابه وجيوشه، وكان يوماً مشهوداً، ودار حول المدينة وأصحاب الخبيث يرمونهم بالمجانيق وغيرها، وجاء أبو العبَّاس من مكان آخر، فاقتحم الخنادق، وثلم السُّور ثُلْمة اتَّسع منها الدخول، وانهزم أصحاب الخبيث وهو معهم، وأصحابُ الموفق يتبعونهم إلى الليل، وعاد الخبيث إلى المدينة، وعبر الموفَّق إلى معسكره، وتراجع أصحاب الخبيث، واستأمنَ إلى الموفَّق خلقٌ كثيرٌ من قوَّاده وفرسانه، فأحسن إليهم، وخرجت هذه السَّنة والقتالُ بينهم والحرب قائمة، ورمَّ الخبيث ما كان وَهَى من الأسوار والخنادق.

وفيها استولى أحمد [بن عبد الله] الخجستانيُّ على خُراسان وكِرْمان وسِجِسْتان، وطرد عنها نوَّاب عمرِو بن اللَّيث، وعزم على المسير إلى العراق، وضَرَب الدنانير

(١) من هنا إلى قوله: وفيها استولى أحمد الخجستاني؛ ليس في (ب).

والدراهم باسمه، وجعل وزنَ الدينار عشرة دوانيق، والدِّرهم ثمانية دوانيق، وكتب على جانبٍ منه: المعتمد بالله، وعلى الجانب الآخر: أحمد بن عبد الله.

وقيل: إنَّه كتب على وجهٍ: المُلْك والقُدرة [لله]، والحولُ والقوَّة بالله، لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، وعلى الجانب الآخر: اسم المعتمد واسمه [والله أعلم][1].

وفيها وثب أحمد بن طولون على أحمد بن المدبّر، وكان متولِّي خراج دمشق والأردن وفلسطين، فحبسه وأخذ أموالَه، ثمَّ صالحه على ستِّ مئة ألفِ دينار[2].

وحجَّ بالنَّاس هارون بنُ محمد بنِ إسحاق بنِ موسى بنِ عيسى الهاشميُّ.

فصل [وفيها توفي]

العبَّاس بن عبد الله

ابن أبي عيسى أبو محمد التَّرْقُفِي[3].

كان زاهداً [عابداً] عالماً، [وروى الخطيب عن] ابن مخلد قال: ما رأيته يضحك قطُّ، قيل: ولا تبسم؟ قال: لا.

وأثنى عليه الخطيب، وروى عنه أنَّه قال: قيل لبعض العرب[4]: لم لا تتزوَّج؟ فقال: مُداراةُ العِفَّةِ أيسرُ من الاحتيال لمصالح المرأة.

[قال الخطيب:] توفي بسُرَّمن رأى [في] هذه السَّنة، وقيل: في سنة ثمانٍ وستين [ومئتين].

سكن بغداد، وحدَّث بها عن محمد بن يوسف الفريابيّ وغيره، وروى عنه ابنُ أبي الدنيا وغيره، وكان ثقةً صالحاً صدوقاً.

---

(١) هذا الخبر في «تاريخ الطبري» ٩/ ٥٩٩ـ٦٠٠ ، وما بين معكوفين من (ب).

(٢) هذا الخبر ليس في (ب). وانظر «المنتظم» ١٢/ ٢١٣ .

(٣) في (خ) و(ف): الرفقي، وفي (ب): البرنقي، والمثبت من «تاريخ بغداد» ١٤/ ٢٨ ، و«تاريخ دمشق» ٣٢/ ١٠٠ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٤ .

(٤) في (خ) و(ف): وقال العباس: قيل لبعض العرب...، والمثبت من (ب)، ولم نقف على نص كلام الخطيب في «تاريخ بغداد»، ورواه عن الخطيب ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٣٢/ ١٠١ .

[فصل وفيها توفي]

عليُّ بن الحسن

ابنِ موسى بن مَيْسرة، الهلاليُّ، النَّيْسابوريُّ، الدَّرابْجِرْدي، ودَرابْجِرْد محلَّةٌ بنَيْسابور، وكان من أكابر علماء نيسابور، وابنَ عالمهم، وله مسجد بهذه المحلَّة يُتبرَّك بالصلاة فيه.

واختلفوا في وفاته؛ فقيل: إنَّه زَبَر عامل نيسابور وزجره عن ظُلمه، فأوقد له ناراً في تِبْنٍ، وأدخله في بيت، فمات من الدُّخان، وقيل: إنَّه وُجد ميتاً في مسجده بعد أسبوع [من وفاته] ولم يعلموا به، وقيل: أكله الذِّئب.

سمع أبا عاصم النَّبيل وغيرَه، وروى عنه البخاريُّ ومسلم وغيرهما، وكان سيِّداً، عالماً، فاضلاً، صدوقاً، ثقة[1].

محمد بن حمَّاد

ابن بكر، المقرئ، صاحب خَلَف بن هشام.

كان أحدَ القرَّاء المُجَوِّدين، وعباد الله الصَّالحين، وكان الإمامُ أحمد رحمة الله عليه يُجلُّه ويُكرمه، ويصلِّي خلفَه في شهر رمضان وغيره، وكانت وفاتُه ببغداد في يوم الجمعة لأربعٍ خلون من ربيع الآخر.

سمع يزيدَ بن هارون وغيرَه، وروى عنه القراءات خلقٌ كثير، وانتفعوا به، وكان صالحاً ثقة[2].

[وفيها توفي]

يحيى بن محمد بن يحيى

أبو زكريا الذُّهْليُّ، [ويلقب حَيْكان[3].

---

(١) «المنتظم» ١٢/ ٢١٣ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٣٧٢ ، و«تقريب التهذيب».

(٢) هذه الترجمة ليست في (ب)، وانظرها في «تاريخ بغداد» ٣/ ٧٦ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٥ .

(٣) ما بين معكوفين من (ب)، ووقع فيها: حكمان. والمثبت من «تاريخ بغداد» ١٦/ ٣١٩ ، و«المنتظم» ١٢/ ٢١٥ .

وكان يحيى] إمامَ أهل نيسابور في الفتوى والرِّياسة وابنَ إمامها، [وقد اختلف هو وأبوه في مسألة، فحكَّما محمد بن إسحاق بن خزيمة، فحكم ليحيى على أبيه.

وذكره أبو عبد الله في «تاريخه» وأثنى عليه، وقال: قتله] أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيُّ الخارجيُّ، [وكان] جبَّاراً ظالماً عنيداً، تغلَّب على نيسابور مدَّة، ثمَّ خرج عنها، واستخلف إبراهيمَ بن نصر رئيس البلد مع أصحابه، فشرع أصحابُ الخُجستانيِّ في الفساد، فنهض يحيى بن محمد وأصحابُه فقاتلوهم وأخرجوهم من البلد، فلمَّا عاد الخجستانيُّ إلى البلد أخذ يحيى بن محمد، فبنى عليه حائطاً، وقيل: إنَّه قتله في جمادى الآخرة.

وقال [الحاكم: سمعت الحسن بن يعقوب المُعَدَّل يقول: سمعت] أبا عمر وأحمد ابن المبارك المستملي [يقول:] رأيتُ يحيى بن محمد في المنام، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. قلت: فما فعل الخُجستانيّ؟ فقال: هو في تابوت من نار ومفتاحُه بيدي.

أسند يحيى عن الإمام أحمد [بن حنبل] وغيره، وروى عنه أبوه إمام نيسابور صاحب الواقعة مع البخاريِّ، وكان يقول: أبو زكريا ولدٌ، وهو والد، وروى عنه محمد بنُ إسحاق بنِ خزيمة وغيرُه، وخلقٌ كثير.

[وفيها توفيت]

عابدة يمنية

[لم يذكر اسمها، ولها قصَّة رواها أبو الفضل محمد بن ناصر بإسناده إلى] محمد بن سليمان القرشيِّ [قال:] بينا أنا أسير في بلاد اليمن، إذا أنا بغلام واقف على الطَّريق في أذنيه قُرطان، في كلِّ قُرط جوهرة يضيء وجهه منها[1]، وهو يمجِّد ربَّه تعالى ويقول: [من الوافر]

مَليكٌ في السماءِ به افتخاري ... عزيزُ القدْر ليس به خفاءُ

فسلَّمتُ عليه فقال: ما أنا برادٍّ عليك حتَّى تؤدِّي [من] حقِّي الذي يجب عليك،

(١) في (ب): يضيء وجهه بين تلك الجوهرة، والمثبت في (خ،ف)، والخبر في المنتظم ١٢/ ٢١٦.

قلت: وما حقُّك؟ فقال: أنا غلام على مذهب الخليل عليه السلام، لا أتغدَّى ولا أتعشَّى كلَّ يوم حتى أسيرَ الميلَ والميلين في طلب الضَّيف، فسرتُ معه حتَّى قربنا من خيمة شَعَر، فصاح: يا أُختاه، فأجابته جاريةٌ من الخيمة: يا لَبَّيْكاه، فقال: قومي إلى ضيفنا، فقالت: حتَّى أبدأَ بشكر المولى الذي سبَّبَ لنا هذا الضَّيف، فقامت فصلَّت ركعتين، ثمَّ أخذ الغلامُ شَفرةً، ومال إلى عَناقٍ فذبحها، وأدخلني الخيمة، وقامت أختُه لتُصلحَ العَناق، فنظرتُ إلى أحسن النَّاس وجهاً، فجعلتُ أُسارقُها النَّظر، ففطنت لبعض لَحظاتي إليها، فقالت: مه، أما علمتَ أنَّ ساكنَ يثرب ﷺ قال: «زنى العيون النظر»[1]، [وفي رواية: أما علمت أنَّه قد نُقل إلينا عن صاحب يثرب... وذكرته،] ثمَّ قالت: أما إنِّي ما قصدتُ توبيخَكَ، ولكن أردتُ أن أؤدِّبك لكي لا تعود إلى مثلها.

فلمَّا جاء اللَّيل خرجت أنا والغلام فبِتنا خارجَ الخيمة، وباتت الجارية في الخيمة، فكنتُ أسمع دَوِيَّ القرآن اللَّيلَ كلَّه من الخيمة بأحسن صوتٍ وأرقِّه، فلمَّا أصبحتُ سألتُ الغلام عن ذلك الصَّوت فقال: هي أختي؛ تحيي الليلَ كلَّه إلى الصَّباح، فقلت: فأنت يا غلام أحقُّ[2] بهذا العمل منها! فتبسَّم وقال: أما علمتَ أنَّه موفَّقٌ ومَخذول.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧)، وهو عند أحمد (٧٧١٩) من حديث ابن عباس عن أبي هريرة ﷺ، بلفظ: «العَين» وهو في مسند الشهاب (٦٦) كما أورده المصنف.

(٢) في (خ) و(ف): فأنا أحق...، والمثبت من (ب)، وهو الموافق لما في «المنتظم» ١٢/٢١٨.